الرسالة

(١ كورنثوس ١٢: ٢٧–
٣١؛ ١٣: ١–٨)

يا إخوةُ أنتم جسدُ المسيحِ وأعضاؤه أفراداً* وقد وضع الله في الكنيسةِ أُناساً أولاً رُسُلاً ثانياً أنبياءَ ثالثاً معلِّمين ثمَّ قوَّاتٍ ثمَّ مواهبَ شِفاءٍ فإغاثاتٍ فتدابيرَ فأنواعَ ألسنةٍ* ألعلَّ الجميعَ رسلٌ. ألعلَّ الجميعَ أنبياءُ. ألعلَّ الجميعَ صانعوا قوَّاتٍ* ألعلَّ للجميع مواهبَ الشفاءِ. ألعلَّ الجميعَ ينطِقونَ بالألسنةِ. ألعلَّ الجميعَ يترجمون* ولكن تنافسوا في المواهِب الفُضلى وأنا أُريكم طريقاً أفضل جدًّا* إنْ كنتُ أنطِقُ بِألسِنةِ الناسِ والملائكةِ ولم تكن فيَّ المحبَّةُ فإنَّما أنا نحاسٌ يَطِنُّ أو صِنجٌ يَرِنُّ* وإن كانت لي النبوَّةُ وكنتُ أعلَمُ جميعَ الأسرارِ والعلمَ كلَّهُ وإن كان لي الإيمانُ كلُّه حتى أنقُلَ الجبالَ ولم تكن فيَّ المحبَّةُ فلستُ بشيءٍ* وإن أَطعَمتُ جميعَ أموالي وأسلمتُ

بين الغنيّ ولعازر

في الإصحاح ١٦ من إنجيل لوقا نرى أن الربَّ يسوع كان يحذّر وينبّه معلّماً حول المال قائلاً: «لا يقدر خادمٌ أن يخدم سيدين لأنَّه إما أن يبغض الواحد ويحبَّ الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (لو ١٦: ١٣). كلام الربِّ هذا سمعه الفريسيّون الذين يقول عنهم الإنجيلي لوقا أنَّهم «محبون للمال» (لو ١٦ :١٤)، وسخروا من كلامه. عندها يسرد الربُّ يسوع مثل الغنيّ ولعازر مظهراً أن من استعلى لدى الناس يكون مرذولاً من قِبَل الله.

يبدو من خلال قراءتنا الأولى لهذا المقطع أنَّ الله لا يحبّ الأغنياء أو لا يريدنا أن نستمتع بمالنا وبحياتنا. هذا منطق غريب، لا بل غير مقبول. إنَّ كلّ ما نملكه هو عطيّة من الله، والمال هو عطيّة الله، ولكن المطلوب ونحن نستمتع بهذه العطيّة، ألّا ننسى وصيَّة العاطي، ولا نرذل أخانا المحتاج. يقول القدّيس باسيليوس الكبير: «لماذا أنت غنيّ وذلك فقير؟ ليس لأيٍّ سبب آخر إلاّ لكي تنال أنتَ أجرة عمل الخير والإستخدام الصَّالح لغِناك، أما ذاك فلكي يكرَّم بمكافآتٍ كبيرةٍ على صبره».

إن تعمّقنا في هذا المقطع الإنجيليّ وذهبنا إلى ما بعد الحرف، نفهم تماماً قصد الله من الغنى والفقر. شخصيتان متناقضتان. إنسان غنيّ ينفق ماله على أشياء غير مفيدة «يلبس الأرجوان والبز ويتنعَّم كل يوم مترفهاً»، يعيش من أجل تلبية شهواته الأرضيَّة. بالمقابل إنسان ضعيف، فقير، وجائع اسمه لعازر كان جالساً على باب الغني مريضاً بالقروح، يشتهي فتات الطعام الذي يسقط من مائدة هذا الأخير، وكانت الكلاب، التي تعتبر نجسةً بالنسبة للشعب اليهودي، تأتي وتلحس جروحه.

العدد ٢٠١٥/٤٤
الأحد ١ تشرين الثاني
تذكار القديسَين الصانعَي العجائب
العادمَي الفضة قزما وداميانوس
وأمهما ثاودوتي
اللحن الخامس
إنجيل السَحَر الحادي عشر

اللافت ذكر اسم الفقير دون الغنيّ. فلعازر هو الشخصيَّة الوحيدة التي أُعطيَت اسماً في الأمثال. الاسم في الكتاب المقدس ليس مجرد أداةٍ نستعين بها للتمييز بين هذا وذاك، إنَّما هو كاشف عميق لحقيقة صاحبه. فلعازر باللغة العبريَّة يعني «الله عوني» أو «الله إزري» لأنه كان بكّليته متوكلًا على الله، وكان الله مصدر عونه وقوّته. أما بالنسبة إلى الغنيّ فاكتفى الكاتب بوصف غناه. الغني

في اللغة العبريَّة أيضاً هو من استغنى عن الحاجة أو عن شيءٍ آخر، ولعل هذا الشيء الآخر هنا في هذا المثل كان الله والقريب. خطيئة هذا الغنيّ ليست في غناه بل في أنَّه أحبَّ العالم وما فيه كغاية في ذاته لا في شفافيته لله. لم يرَ أبعد من شهواته وملذاته. لم يرَ الله في حياته، فبات طبيعياً في عينيه ألاّ تكون حياته حياةَ شركةٍ مع الله والآخرين. خطيئة هذا الغنيّ أنه استسلم لأنانيته فصوّر لنا الإنجيلي أنَّ الكلاب النجسة باتت أحن وأكثر رأفةً منه.

يحمل مَثَل لعازر والغنيّ رسالةً مزدوجةً.يرتبط من جهة بالمثَل والأقوال الواردة في الآيات ١ – ١٣ (مَثَل وكيل الظلم)، ويصوّر من جهة أخرى تعليم يسوع حول استعمال الأموال والممتلكات، ويعطي معنى جديداً «للمظال الأبدية» (لو ١٦: ٩). بالإضافة إلى هذا، هو تفسيرٌ حيٌّ لكلام الربّ يسوع المسيح: «طوباكم أيها المساكين لأنَّ لكم ملكوت الله. طوباكم أيها الجياع الآن لأنَّكم تشبعون. طوباكم أيها الباكون الآن لأنَّكم ستضحكون. طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيّروكم، وأخرجوا اسمكم كشرّير من أجل ابن الإنسان. افرحوا في ذلك اليوم وتهلّلوا، فهوذا أجركم عظيم في السماء. لأنَّ آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء. ولكن ويل لكم أيّها الأغنياء، لأنَّكم قد نلتم عزاءكم. ويلٌ لكم أيّها الشّباعى لأنَّكم ستجوعون. ويلٌ لكم أيّها الضَّاحكون الآن لأنَّكم ستحزنون وتبكون. ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً. لأنَّه هكذا كان آباؤهم يفعلون بالأنبياء الكذبة» (لو٦: ٢٠ – ٢٦).

يؤكد الرب يسوع بوضوح في هذا المثل انقلاب المصائر بعد الموت. فحياة الترف التي كان الغنيّ يحياها قبل موته وعدم اكتراثه بلعازر المسكين المطروح عند بابه في تناقض واضح مع مصيريهما بعد الموت. إذ نرى لعازر جالساً في أحضان إبراهيم بينما الغنيّ في عذاب الجحيم بحاجة إلى مساعدة من لعازر. الحقيقة التي يجب أن نعيها أنَّنا كلُّنا فقراء بحسب القديس باسيليوس «الفقير ليس من لا يمتلك خيرات بل هو من اعتنق حالة الفقر الروحي».

المقياس ليس الغنى والفقر الماديين، إذ إنَّنا كلُّنا فقراء إلى غنى الله ورحمته. الرسالة الوحيدة التي يريد الربّ أن يوصلها إلينا من خلال هذا المَثَل هي مدى اهتمامنا ببعضنا. هناك الكثير من الفقراء الذين يتذمّرون ويكفرون بالله ويلومونه على حالتهم الإقتصاديَّة والمعيشيَّة، كما أنّنا نرى الكثير من الأغنياء يقدّمون أنفسهم ومالهم من أجل مساعدة إخوتهم. غنانا ليس مرتبطاً بالمال وإنّما بمقدار ما نجعل من الربِّ يسوع محوراً لحياتنا. فحيث هو قلبنا هناك كنزنا.

الله يحبّ الجميع، وأرادنا أن نعيش المحبّة، وأن نتشارك عطاياه مع أخينا الإنسان. فما أجمل وما أحلى أن نجعل من حياتنا صفحاتٍ بيضاء نسطّر عليها كلَّ يومٍ أفعالَ المحبة بدون تفريقٍ أو استثناء. للأهل والجيران والأقرباء، للأصدقاء ورفاق العمل ولأبناء الحي، للفقراء والمحتاجين، للمرضى، للمتعبين نفسياً، للمنغمسين في الأهواء، لنقدِّم لكل هؤلاء محبّة ترفعهم من بؤسهم ومعاناتهم وشقائهم، محبّة ترفعهم من هذه الأرض إلى الله. محبتنا قد تتجلّى في كسرة خبز نقدّمها لجائع، أو في كلمة نافعة ومعزّية نكسرها لقلوبٍ جائعة، المهم أن جسدي لأُحرَقَ ولم تكن فيَّ المحبَّةُ فلا أنتفِعُ شيئاً* المحبَّةُ تتأنَّى وترفُق. المحبَّةُ لا تتباهى ولا تنتفِخ* ولا تأتي قباحةً ولا تلتمِسُ ما هو لها ولا تحتَدُّ ولا تظُنُّ السوءَ* ولا تفرَحُ بالظُّلمِ بل تفرَحُ بالحقّ* وتحتمِلُ كلَّ شيءٍ وتُصدِّق كلَّ شيءٍ وترجو كلَّ شيءٍ وتصبُرُ على كلِّ شيءٍ* المحبَّةُ لا تسقُط أبداً.

الإنجيل

(لوقا ١٦: ١٩–٣١)

قال الربُّ كان إنسانٌ غنيٌّ يلبَسُ الأُرجوان والبَزَّ ويتنعَّمُ كلَّ يومٍ تنعُّماً فاخِراً* وكان مسكينٌ اسمُهُ لعازرُ مطروحاً عند بابِهِ مُصاباً بالقُروح* وكان يشتهي أن يَشْبَعَ مِنَ الفُتاتِ الذي يسقطُ من مائدةِ الغني. بل كانتِ الكلابُ تأتي وتلحسُ قُروحَهُ* ثمَّ ماتَ المسكينُ فنَقَلَتْهُ الملائكةُ إلى حِضنِ إبرهيمَ. وماتَ الغني أيضاً فدُفنَ* فرفعَ عينَيهِ في الجحيم وهو في العذابِ فرأى إبرهيمَ من بعيدٍ ولعازرُ في حِضنِه* فنادى قائلًا يا أبتِ إبرهيمُ ارحمني وأرسِلْ لعازرَ ليُغَمِّسَ طَرَفَ إصبَعِه في

الماءِ ويبرِّدَ لساني لأنّي مُعَذَّبٌ في هذا اللهيبِ* فقال إبرهيمُ تذكَّرْ يا ابني أنَّك نِلتَ خَيراتِك في حياتِك ولعازرُ كذلك بلاياهُ. والآن فهو يتعزَّى وأنت تتعذَّبُ* وعلاوةً على هذا كلّهِ فبيننا وبينَكم هوَّةٌ عظيمةٌ قد أُثبِتَتْ حتى إنَّ الذين يريدون أن يجتازوا من هنا إليكم لا يستطيعون ولا الذين هناك أن يعبُروا إلينا* فقال أسألكَ إذاً يا أبَتِ أن تُرسِلَهُ إلى بيت أبي* فإنّ لي خمسةَ إخوةٍ حتى يشهدَ لهم لكي لا يأتوا هم أيضاً إلى موضعِ العذابِ هذا* فقال لهُ إبرهيم إنَّ عندهم موسى والأنبياءَ فليسمعوا منهم* قال لا يا أبتِ إبرهيمُ بل إذا مضى إليهم واحِدٌ مِنَ الأمواتِ يتوبون* فقال لهُ إنْ لم يسمعوا من موسى والأنبياءِ فإنَّهم ولا إن قام واحدٌ من الأموات يصدّقونه.

تأمل

لا يطرأ على أفكارنا ان كل ما نفعله ينتهي بحياتنا الحاضرة بل يجب أن نؤمن بأن الدينونة لا بد منها، وان كل إنسان سيجازى على حسب أفعاله، وإلا فلماذا بسط الله السموات العظيمة بهذا المقدار ومدَّ نبتعد عن رذيلة القساوة واللاشعور وعدم الإحساس . اليوم نحن في أمسّ الحاجة إلى هذه الإنسانيَّة الرقيقة المخلصة، والعاملة وسط العالم بصمتٍ مقدّس. فلنكن على شبه مسيحنا عوناً للفقراء والمهمَّشين والمتروكين. «لنحبّ بعضنا بعضاً، لأن المحبة هي من الله، وكلُّ مَن يُحبُّ فقد وُلد من الله ويعرف الله. ومَن لا يُحبُّ لم يَعرفِ الله، لأنَّ الله محبَّة» (١يو ٤: ٧–٨).

المغبوط الشيخ يعقوب

هو الأرشمندريت المتوحّد يعقوب تساليكيس، الذي لَمع في النصف الثاني من القَرن العشرين لا كراهب ناسك وحسب بل أيضاً كَراعٍ وأب روحي عميق البصيرة مَرهَف الإلهام، على طيبة وبساطة كالأطفال كما يَشهَد كل من جلس إليه أو التقاه. كثيرون ممن التقوه شبّهوه بالملاك لقَدر ما كان حضوره «شفّافاً»، آخرون قالوا أنك ما إن تجلس إليه حتى ترى فيه الحب متجسداً. أبونا القديس بورفيريوس الرائي، الذي عاصره، سمّاه مرة «مرآة للفضيلة والصبر المقدَّس والتواضع». وما أن علم القديس بورفيريوس برقاد الشيخ يعقوب حتى قال «هذا الرجل من أعظم قدّيسي عَصرنا».

في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٠ وُلد يعقوب لعائلة تقية فاضلة من «ماكري» الساحلية في آسيا الصغرى. والده كان معمارياً ذائع الصيت لحرفيته وأمانته، ما أمّن للأسرة بحبوحة لا بأس بها. لكن الثروة الأهمّ للوالدين كانت تُقاهُما ومحبة العائلة والمجتمع وتمسّكهما بعَيش الفضيلة. في أوائل سنة ١٩٢٢، حصلت كارثة تهجير المسيحيين من آسيا الصُغرى، اعتقَل الأتراك الوالد وهُجِّرَت العائلة إلى اليونان، ويعقوب الصغير ما أتمَّ السنتين من عمره بعد. تنقَّلت العائلة من مكان إلى آخر بين مواضع تجمُّع المُهَجَّرين، لثلاث سنوات وهم لا يعرفون عن الوالد شيئاً، بل وفي ظنّهم أنه قضى في الإعتقال، إلى أن أطلقه الأتراك عام ١٩٢٥ والتقى بعائلته.

التأم شمل العائلة وانتقل الجميع إلى قرية في شمال جزيرة إيفيا. هناك مُنِحوا حصّة مُلكيَّة فبنى الوالد منزلاً عاش فيه يعقوب حتى انتقاله إلى الدير. لا شكّ أن جَوَّ التُقى العائلي أثّر في يعقوب كثيراً. الصلوات والتراتيل وقصص القدّيسين بدأت تستهويه منذ الخامسة من عمره، وفي السابعة – ولم يكن يذهب إلى المدرسة بعد – حَفظ معظم القدّاس الإلهي عن ظهر قلب. أمران كانا الأحبّ إلى قلبه: خدمة الكاهن في الصلوات الكَنَسيّة، والذهاب إلى المزارات والكنائس الصغيرة التي كانت مزروعة هنا وهناك في البرّية، للصلاة ساعات طوال مُقَلِّداً، ببراءة الأطفال، الآباء النُسّاك. أمضى صِغَرَه وشبابه هكذا، عَشير القدّيسين حتى بات أليف حضورهم وعجائبهم. إلفته هذه مع القدّيسين، ونَمَط عَيشِه الذي لا يشبه عَيش الأولاد أترابه، جَعلا أهل القرية يسمّونه «القديس الصغير» و«ولد الله». وإذ لم يكُن في القَرية كاهن مُقيم، كان أهل القرية يلجأون إلى «القديس الصغير» ليصلّي من أجلهم في الأمراض والضيقات. كان يعقوب الصغير إذذاك يتلو من أجلهم الـ«أبانا»، وغيرها من الصلوات التي كان يحفظها، بعفوية وبساطة واتّضاع، وكانت صلواته تُستَجاب فوراً.

عند إنهائه مرحلة التعليم الابتدائي، وبسبب الفقر، صار الفتى يعقوب يرافق والده إلى وِرَش البناء، حتى أتقن مهنة البناء ولم تكن أتعاب المهنة تثنيه عن الصلاة

بالرغم من هزالة بنيته الجسدية. في مَطلع العشرين من عمره، سمعه متروبوليت الناحية يرتّل، فأُعجب كثيراً بصفاء صوته وعذوبة ترتيله فسامَه قارئاً. منذ ذلك الحين زاد الشاب يعقوب بعض التشدُّد في أصوامه وصلواته، إذ لم يعتبر نفسه البتة أهلاً لهذه الكرامة. نشير هنا إلى أن شهادات كثيرة عن أيام شبابه تتحدّث عن كم كان لافتاً تشدّد هذا الشاب في الأصوام والسهر في الصلاة وسائر المُمارسات ذات الطابع النُّسكي. أثناء خدمته العسكرية بين عامي ١٩٤٧ و١٩٤٩ كان رئيسه وبعض الآخرين يعاملونه بتقدير وإحترام، ولعلّهم تحسّسوا فيه كِبَر قامته الروحية. توفي والده عام ١٩٤٩ فبقي يهتم بشقيقته حتى تزوّجت فانطلق إلى الرهبنة، غاية مُناه منذ الصِّغَر.

سنة ١٩٥٢ قُبِلَ الشاب يعقوب راهباً في دير البار داود (نُعيّد له اليوم ١ تشرين الثاني) في إيفيا، أبقيَ له اسم يعقوب، وفي ١٩ كانون الثاني من السنة نفسها سيم كاهناً في خالكيذا. جهاد الراهب المُتَقَدِّس صار في الدير مُضاعفاً، وغالباً ما كان يصعد إلى المغارة التي نسك فيها البار داود ليصلّي ساعات طوال. وكما كانت جهاداته وصلواته تزداد كانت تزداد أيضاً نِعَم الله عليه، بما فيها الرؤى الإلهية وظهورات القديسين والعجائب. بالطبع ازدادت عليه أيضاً هَجمات الشيطان، بِحِيَل وأشكال متنوّعة. غالباً ما كان الشيخ يعقوب يرى ويُحادث البار يعقوب مؤسس ديره، والبار يوحنّا الروسي الذي كان يكنّ له الشيخ يعقوب إكراماً خاصاً. أما في خدمته القُدّاس الإلهي، فمعاينة الملائكة يمَجّدون الحمل الذبيح كانت شبه دائمة عنده، وقد شهد كثيرون كيف كان يتألّق بالنور وهو يخدم الأسرار الإلهية. في ٢٥ حزيران سنة ١٩٧٥ اختاره آباء الدير رئيساً عليهم، وبقي حاملاً هذا الصليب بِبَذل واتّضاع كُلّيَين حتى رقاده في ٢١ تشرين الثاني ١٩٩١.

«كيف يمكننا أن نحب الله، إن لم نحب حتى الموت هؤلاء الذين أحبَّهم الله حتى الموت؟»، كان الشيخ يعقوب يردّد دائماً لا بالكلام وحسب بل بالفعل كلّياً، إذ كان كل قاصديه يرون بأعيُنهم وبقلوبهم، كيف كان يعتنق آلامهم وأحزانهم وكأنها في جسده وروحه. كان يستمع إليهم ويُعَزّيهم ويرشدهم ويصلّي من أجلهم، كان يشفي أمراض النفوس والأجساد ويَرُدّ الضالّين ويُحرّر الممسوسين من الشيطان. عجائبه، في حياته وبعد رقاده، في هذه المجالات وغَيرها كثيرة جداً. الملتجئون إليه كانوا يشتَمّون فيه «رائحة المسيح الذكيّة لله» (٢ كور٢: ١٥)، أما هو فلم يَكُن ينسب لنفسه من هذه كلّها شيئاً، مُعترِفاً بكلّ الفضل لله ولقدّيسيه.

تذكار نقل رفات القديس جاورجيوس

في مناسبة عيد نقل رفات القديس جاورجيوس وببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس، تُقام صلاة الغروب عند السادسة من مساء الإثنين ٢ تشرين الثاني، وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الثلاثاء ٣ تشرين الثاني في كنيسة القديس جاورجيوس – الرميل.

الأرض وأوسع البحر وملأ كل شيء بالهواء وأظهر المهن المختلفة. لماذا هذا كله أَوَلَمْ يشأ الاهتمام بنا حتى النهاية؟ أَنظرتَ إلى الصِدّيقين كم تحمّلوا من المصائب والعذابات، ثم قضوا قبل أن ينالوا شيئاً حسناً، خلافاً للآخرين الذين طفحت حياتهم بالفساد، والمعتدين على غيرهم، والمضايقين الأرامل والأيتام، والمتلذذين بالثروة والغنى والزخرف وكل ملذات العيش، ومع ذلك فقد مضوا ولم ينلهم أدنى ضرر. ولكن، كما ينال الأولون الجائزة عن فضيلتهم ينال الآخرون أيضاً جزاء فسادهم عند انتهاء حياتنا في هذا العالم، لأن الله موجود وعادل وسيجازي كل واحد بما يستحق، وإن كان في هذه الحياة لا يعاقب الفريق الأول على خطاياه ولا يجازي الثاني على فضيلته، فهذا دليل على انه سيأتي وقت ينال فيه كلٌ ما يستحق. ولذلك جعل الله في نفس كل منا حاكماً يقظاً لا يغفل ولا ينام عن شيء ألا وهو الضمير. أجل لا يوجد بين البشر حاكمٌ كالضمير.

القديس يوحنا الذهبي الفم